

نفحات القرآن

[197] تعبير كثير المعنى وفيه إشارة إلى أنَّ هذه الطنون الواهية تنشأ من هوى النفس الذي يجعل من الباطل حقاً في منظارهم ، فهم إذن يعبدون أهواء أنفسهم في الواقع والأصنام الأخرى وليدة لها ! وعليه يكون مصدر الانحراف والضلال لديهم في الواقع أمرين : عدم الإستناد إلى اليقين من الناحية العقلية والعقائدية والتمسك بالطنون والإنصراف عن فطرة التوحيد الصحيحة من الناحية العاطفية والإستناد إلى هوى النفس . وهذه النقطة جديرة بالإهتمام أيضاً وهي إنَّ (يتَّبِعُونَ) و (تَهْوَى) فعلان مضارعان ، ويعني ذلك إنَّ هؤلاء يستمرُّ أتباعهم للطنِّ وهوى النفس ويتلونون كلَّ يوم بلون جديد ! والملاحظ إنَّ أوَّل الآية تخاطب المشركين وآخرها تذكرهم بإستخدامه ضمير الغائب (التفات من المخاطب إلى الغائب) وفي ذلك إشارة إلى أنَّهم لا شأن لهم حتَّى يستحقُّون الخطاب . أظهرت الآية السابعة والأخيرة الحقيقة نفسها ولكن في إطار جديد حيث تقول : (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً) (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) . ولعدم إمتلاككم دليلاً واضحاً وموجِّهاً على الشرك فإنَّكم مدانون . ثمَّ تقوم الآية بتوضيح الدليل على بطلان عقيدتهم وتقول : (هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَعَيْلِي) (1). والتعبير بـ (ذِكْر) بدلا عن الكتب السماوية إشارة إلى أنَّ جميع هذه الكتب عامل تذكير ووعي ، وقد ذكر بعض المفسِّرين معاني أخرى لكلمة " ذكر " ولكنها لا تبدو مناسبة . وذيل الآية يؤكِّد مرَّة أخرى على هذا المضمون حيث يقول : (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) _____ 1 - في هذه الآية إستدلال بالدليل النقلي في حين إستدلَّ في الآيتين السابقتين بالدليل العقلي وبرهان التمانع (تدبُّر) .